المحاضرة الثالثة عشر
تعلم اللغة بين المجهود والمردود (2)

ب: المقاربة النصية

كان من نتيجة تبني بيداغوجية الكفاءات أن تحوّل مجال الاهتمام من المقاربة المبنية على نظام الجملة إلى المقاربة النصية وكان في الانتقال من تعليمية الجملة إلى تعليمية النص خطوة نوعية في مجال الدرس اللساني المعاصر. فالمقاربة النصية تعنى بدراسة بنية النص ونظامه وفق خطاب متناسق ومنسجم ينقل الطالب من مستوى الجمل المفردة إلى مستوى النسق العام الذي تنتظم فيه تلك الجمل. من حيث إنه لا يبنى من عدم ولا ينشأ من فراغ فهو نسيج من اقتباسات انحدرت من منابع متعددة، والكاتب ساعة إنجازه النص يتأثر بما يقرأ فيصبح النص الجديد بهذا المعنى تشربا لنصوص أخرى وتحويلا إلى أنساق جديدة، ويعبر اللسانيون عن هذه الظاهرة في مجال الأسلوبية بمصطلح التناص (Intertextualité) حيث إن النص في المقاربة الجديدة أضحى محور العملية التعلّمية لذلك فإن منطلق المواد اللغوية والأدبية يعتمد المقاربة النصية من أجل البناء اللغوي،فيكون النص بمختلف أنماطه:(السردي،الحجاجي،الوصفي، التفسيري الحواري)..محل ممارسة الفعل التعلمي.وإذ تقترح المقاربة الجديدة تناول اللغة من جانبها النصي؛ فذلك لأن النص وسيلة التواصل، ذاك أنّ الطالبيكتسب من خلاله رصيدا لغويا ثرا يمكنه من ملكات اللغة في مختلف المواقف التواصلية: ويتحدد النص بهذا على أنه «تشكيلة لغوية ذات معنى تستهدف الاتصال» وهو بناء يتضمن محتوى يتشكل من مفاهيم وتراكيب،ومفردات ومعارف، فالمقاربة النصية مقاربة تعلّمية تسهّل على الطالب معرفة قواعد التماسك والتدرج النصي، بحيث يتم

الفعل القرائي و الكتابي على أساس هذه القواعد وفي حركة حلزونية، يقرأ ويكتب، ويقرأ بوجه آخر وهلم جرا بحيث تبدو لك الصلة الفعلية و المتواصلة بين هذه المواد المتكاملة في خدمة تنمية كفاءة القراءة و القراءة الناقدة.

كما تسهم المقاربة النصية في إرساء تعلم الإنتاج الكتابي الذي يمارسه الطالب في البحوث القصيرة ومذكرات التخرج وفق خطوات عملية، ومن أبرز ما تقوم عليه هذه المقاربة من مبادئ:

1- التحكم في آليات الكتابة البحثية بتعويد الطالب على مبدإ التجريب والخطإ.

2- يقرأ ويستمع ويعلق شفويا أو كتابيا على ما يقرأ أو يستمع.

3- المبادرة باختصار الكلام وحوصلته والتدرب على فهم ما يطلب منه فعله وإدراكه وبذلك يتدرج الطالب شيئا فشيئا نحو القراءة التأملية الناقدة(كما هو الحال في مقياس تقنيات التعبير الشفوي و الكتابي المدرج بين المواد الاستكشافية للسنة الأولى ليسانس من النظام الجديد).

4- تنمية رصيد المتعلم المعرفي واللغوي.

5- استخدام الاستراتيجيات المناسبة في بناء المعنى.

إن النصوص عادة ما تتداخل فيجمع النص الواحد منها أكثر من نوع لقد اتضح أن قراءة النصوص بمختلف أنواعها وفقا للبيداغوجية الجديدة تتيح للطالب اكتساب وسائل وآليات التواصل السليم ضمن ملكات اللغة الخمس، واكتساب هذه الكفايات والتحكم فيها في مختلف المواقف التفاعلية هو غاية الدرس اللساني والمقاربة النصية التي تم اعتمادها في البيداغوجية الجديدة تتيح للطالب أن يطلع على عينات كافية من أصناف النصوص تكفل له امتلاك كفاية البحث والتواصل

إن للتعامل البنوي من النص فوائد لا يمكن نكرانها أوتجاوزها، لكن عيبها أنها حصرت التعامل مع النص في مستوى البنى المغلقة، أوالجمل و أهملت البعد النصي وكان من نتيجة ذلك طلبة يجيدون تحديد وظائف الكلمات في التراكيب،ووظائف الجمل في النصوص؛ وبناء

تراكيب سليمة، إلا أنهم عاجزون عن إنشاء النصوص في اتساقها وانسجامها على المستوى الكتابي، أو إنشاء خطابات سليمة على المستوى الشفوي. لذلك كانت «البيداغوجية القائمة على الكفايات التي تنطلق من أبحاث علم النفس المعرفي، وبنائية بياجيه، وسوسيوبنائية فيجوتسكي "Vygotsky" هي البديل الذي يعهد إليه بتكوين متعلمين يمتلكون كفاية إنجاز الخطابات والنصوص في مختلف أصنافها وفي مختلف المواقف التواصلية.»

ثالثا:الجوانب النفعية لتعلّمية اللغة العربية(من منظور المقاربة بالكفاءات).

آثرنا توظيف هذا العنوان بالذات لإيماننا أن لا قيمة لأي علم من العلوم ما لم ترتبط ممارسته بجملة من الإجراءات النفعية التي تعود على الإنسان بالخير؛ إذ لا خير في علم لا ينفع... أو كما قال منظر المدرسة الأمريكية في عشرينيات القرن الماضي عالم التربية:"جون ديوي" (النافع هو المفيد)؛وهذا الكلام الصادر عن أحد عقلاء العالم يتساوق مع قول نبينا الكريم (صلى الله عليه و سلم):" لا خير في علم لا ينفع و نفس لا تشبع و قلب لا يخشع..."

وقد جعلت هذا المبحث في عنصرين تجنبا للإطالة:

أولا :إن هذه البيداغوجية و هي تضطلع بتعلّمية مواد اللغة العربية و آدابها تنقل الطالب من عالم المعرفة ومجاله الجامعة إلى عالم المنفعة و مجاله الشغل؛حيث المناورة و التحدي فهناك يلجأ الطالب إلى تكييف المعارف التي تلقاها عبر سنين الدراسة في مدرجات الجامعة تكييفا يتواءم والواقع الجديد.

إن التعلم الذي توفره هذه البيداغوجية يسمح للطالب أن يمارس النشاط المعرفي ليس لمجرد إشباع رغبة نفسية أو اجتماعية أو حتى جمالية ، بل إنه يبني معارفه استجابة لمشكلة محددة أو إشكالية تستدعي حلا معينا ومن هذا المبدأ ينطلق الطالب من وضعية كانت سائدة في البيداغوجيات السابقة وهي "التفكير في التعلم" إلى وضعية جديدة تتبناها هذه المقاربة وهي" تعلم التفكير"

ثانيا:الانتقال بالطالب من بيداغوجية التحصيل الكمي للمعارفاللغوية والأدبية، حيث يكون التعويل على الذاكرة و المعرفة مبنية على استدعاء الذاكرة لحين الحاجة إليها، فسرعان ما تتلاشى و ينساها الطالب بعد مرور الاختبارات .- لا نقول بعد مرور سنوات الدراسة الجامعية – و إذا كانت المعارف " رأس مال نائم" فإنّ ما يستثمره المتعلم في حل مشاكله الحياتية و اليومية يعدّ فائدة .

إنّ التعلم الكفائي يتيح للطالب أن يستثمر معارفه التي اكتسبها طوال مساره الدراسي في الجامعة و من ثم يعرف كيف يسأل، و كيف يبرهن و يحاجج، و كيف ينقد و يقوّم، و كيف يتحدث و ينظم أفكارهأيا كان مكان تواجده في سلم المجتمع، إن في قاعدة الهرم كأن يكون تاجرا، عاملا بسيطا، أو في قمة الهرم، قائدا، مفكرا، باحثا، حتى يخرج طالب الجامعة الجزائرية من دائرة أولئك الذين قال فيهم ابن خلدون :« فنجد طالب العلم منهم بعد ذهاب الكثير من أعمارهم، في ملازمة المجالس العلميّة سكونا لا ينطقون، ولا يفاوضون وعنايتهم بالحاجة؛ فلا يحصلون على طائل من ملكةالتّصرف في العلم والتّعليم»

انتهى الدرس